

مفهوم التواصل والحضارة الإنسانية في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي

بقلم د/ معوان مصطفى

مقدمة:

نشير بداية إلى أن نظرة الغرب نحو الإسلام و المسلمين تشكلت عبر مراحل زمنية طويلة تعددت خلالها رؤيا رجال الدين و السياسة و المستشرقين و اتفقت في النهاية على جملة من التصورات التي تمخضت عنها الوعي الذي منح من خلاله الغرب نفس موقع (الحقيقة) و (المركز) و "العقل" و "المدينة" مقابل إبقاء الآخر في موقع "الضلال" و "الهامش" و "الأسطورة" و "التخلف".

و حين أوشك عقد السبعينيات على الانفراط صحا الغرب على هدير الثورة الإسلامية في إيران ، ووقف يتابع بحذر ذلك النمو المتسارع لظاهرة الإسلام السياسي ، في ما كانت الجليات العربية و الإسلامية تتزايد باطراد مستتبة رموزها الدينية و المادية و نشرت صيغها الاجتماعية و الثقافية ضمن بين ظهرائه، الأمر الذي أخذ يثير فيه القلق و ييث السكون في مشاعره و رؤاه، و لم تكن قضايا فلسطين و البترول و بعض حوادث العنف و التطرف التي تجري هنا و هناك و تنسب إلى هذا الطرف العربي أو المسلم أو ذاك إلا في القلب من هذا الخصم .

أطروحات مغايرة :

غير أن هذا المنحى و واجهته وضلت تواجهه في إطار الغربي نفسه
أطروحات مغايرة رفضت مقاولات المواجهة و أكدت على الحوار ، فمنذ "
ماريشال هد جسون " الذي دعا منذ الخمسينيات إلى تصحيح الصورة
الذهنية الخاطئة التي ظل يحملها الغربيون عن الإسلام و ذلك في كتابه "
مغامرة الإسلام " و "أنا ماري شمل " التي وصفت بأنها مثال لمثقف الحوار في
مقابل مثقف الصراع ، إلى المناظر السياسي الأمريكي "شارلس بتروث"
والمستشار الاقتصادي العالمي "جيمس نوفاك " و الصحفيين " جون ب .. أتلي "
و "جوزف سوبران " إلى المؤرخين " رالف ريكو " و " لينوا غد ليغو "
كذلك المرشح الرئاسي "بتريك جيمبس بوكنان " و غير هؤلاء من نماذج
التعاطف مع حركة النهوض الإسلامي المعاصرة ، و حتى المفكر السويدي
" كينيت رتزن " مؤلف كتاب " الإسلام و أوروبا مواجهة أم تعايش " ناهيك
عن " روجيه غارودي " الذي كتب "من أجل الحوار بين الحضارات " إلى غير
هؤلاء ممن نادى بالتفاهم و نبذ مقاولات الصدام .

كذلك ليست أسماء "فرانسوا بوغارت" و "جون اسبوزيتو" و "ليونتي
هايدر" و "جيل ليلي" و "بول كندي" و "راف بريالتي" إلا أمثلة أخرى
لهذا الوعي الذي عبر عنه أخيرا الرئيس الألماني "رومان هيرتسوج" في كتاب
صدر له عام 1999 م تحت عنوان " الحيلولة دون صدام الحضارات :
إستراتيجية الإسلام للقرن الحادي والعشرون . "

ولعل ما بذل من جهود على صعيد المؤتمرات و الندوات في هذا الاتجاه قد شمل بريطانيا و فرنسا و إيطاليا و السويد و هولندا و غيرها من البلدان الغربية ، و قد كان لبعض رجال الدين المسيحي إسهامهم على هذا الصعيد والذي ينشط عادة تحت عنوان " الحوار المسيحي - الإسلامي " .

الإسلام و الحوار الحضاري :

أما على الجانب الإسلامي فليس بثمة شك بأن الإسلام و هو يقر ابتداء بحقيقة الاختلاف بين الناس و المعتقدات يؤكد قيمة الشراكة و أهمية التعايش و اعتبار التعارف غاية من الغايات ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (الحجرات 13) ، و الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره ، لهذا ظل العدوان في شريعته محرما ﴿ وَلا تَتَعَدُوا إِنَّا إِلَهُكُمْ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة 190) ، كما اعتبر السلم في منهاجه أصلا من أصول العلاقات ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا ﴾ للسلم فاجع لها (الأنفال 61) .

وعلى الرغم مما تميز به الإسلام من نزوع أممي يتحمل خلاله المكلفون مسئولية التبليغ و التطلع نحو إشاعة المشروع الحضاري الإسلامي على الصعيد العالمي فإنه ربط ذلك بمبدأ الحوار الذي تظل في إطاره اختيارات الآخرين منوطة بحريتهم أيما كانت طبيعة تلكم الاختيارات (إذ لا إكراه في الدين) (البقرة 256) .

كما يظل الحاكم في جدل العلاقات - أيا كان مآل الجدل - قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (الإسراء 84)، و قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام 164).

و هذا ما تجسد فعلا قي ظل الحضارة الإسلامية التي تعايشت في مناطق نفوذها مختلف الأديان و الثقافات.

من ناحية أخرى لا بد أن نلفت النظر إلى أن الإسلام إذ يوصي بالحوار من أجل الحضور و تبليغ ما يحمله من رسالة إلى العالم ، يحث عليه أيضا من منطلق الإسهام في حل المشكلات و التعاون مع الجميع على البر والخير (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة 2).

و هذا يعني أن الحوار في منظوره الإسلامي لا يقتصر على ناحية دون أخرى ، بل يمتد إلى مختلف النواحي الفكرية و الدينية و السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و الإنسانية مثل قضايا : السلام و البيئة و الفقر و نزع أسلحة الدمار الشامل و الصحة و حقوق الإنسان و الديون و الهجرة المخدرات والجرائم الدولية و نحوها من القضايا الجديرة بالطرح على موائد الحوار و التي تستأهل التعاون بشأنها بغية الوصول إلى صيغ أو حلول عادلة أو مقبولة ، ولعل في هذا المنحى تحقيق - من الواجهة الإسلامية - لمعنى الوسطية

والشهادة على الناس و تكريس لمبدأ الإنقاذ الإنساني (و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) (البقرة 143).

لكن يا ترى هل أن هذه الحقائق - على قسوتها - تسقط عن العرب و المسلمين ما يحملونه من مسئولية سواء من جهة تشويه الإسلام و الإساءة إليه أم جهة تأزيم العلاقة مع الآخرين ؟

الواقع وبصرف النظر عن حوادث الحادي عشر من سبتمبر و هوية المتهمين فيها تبقى هناك جملة من الرؤى الضيقة التي ما برحت تعشعش في ذهنية بعض المجموعات الإسلامية و تفرز بعض السلوكيات الحمقى التي هي بقدر ما تشكل تشويها ذاتيا للإسلام تعطي في الوقت نفسه صورة قائمة عن المسلمين و نمط تفكيرهم و على نحو من شأنه أن يدفع الآخر إلى مزيد من التوجس و إعطاء المبررات الإضافية للتطرف و التخطيط المضاد . بل لابد من الاعتراف بأننا جميعا بحاجة إلى نقد الذات و الشروع بالمراجعة التي لابد أن تمتد إلى العديد من مفاهيمنا و خطابتنا و سلوكياتنا و مواقفنا السياسية والثقافية بل الفقهية ، أحيانا فالدعوة إلى " الوسطية " و مراعاة " الواقع " والأخذ بفقه "الأولويات " و أحكام " المتغيرات " و منطق "الضروريات " وتقديم خيارات " الاعتدال " و "التسامح " إنما تتشكل مطالب ضرورية لابد من اعتمادها في منهج التغيير و إعادة البناء.

إنه ليجدر بنا في ظل هذا المنعطف الفتان أن نتذكر كيف لفت المجدد السيد جمال الدين الأفغاني أقطار الغرب و الشرق قبل أكثر من قرن و هو

يُحاور الآخريين في لندن و باريس و برلين و غيرها من بلدان العلم لدرجة أن "أرنست رينان" - على الرغم مما عرف عنه من التعصب - يعترف قائلاً "قلما استطاع أحد أن يؤثر في نفسي مثلما أثر الأفغاني فيها ، إن قيمة الأديان منوطة بقدر ما يكون لمعتنيها من تقدير .

معنى التواصل و الاتصال :

اتصال غايته و مرماه ومقاصده هي التواصل و الاستمرار و تبادل المنافع و المصالح و الفوائد كيفما كانت مادية اقتصادية أو معنوية مثل القيم الثقافية و الأخلاقية و السلوكية ، حيث أن استمرارية الوجود الإنساني على هذا الكوكب الأرضي ، يتطلب تضافر الجهود و تضامن الأفراد و الجماعات و تعاونهم بدليل قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (المائدة 2).

فالتعاون الذي ينتج عن الاتصال و التواصل بواسطة الحوار هو الذي يؤدي إلى التقارب و التفاهم و الاتفاق و التآلف و المحبة للتغلب على المشاكل و الصعوبات و المستجدات الحياتية على جميع المستويات " و الحوار هو السبيل إلى بلوغ الهدف و الوصول بالبشرية إلى بر السلام ، فمستقبل إنسانية جمعاء يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب " .

نظرة الإسلام في الاتصال و التواصل بين الرسالات السماوية :

لقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد و تؤيد عملية الاتصال و التواصل وفتح جسور التقريب بين الرسالات السماوية على أساس الاحترام المتبادل والعلاقات الطيبة و المعاملات الحسنة كي يستمر "الدين لله و الدعوة إلى سبيل الله حتى في اشد الظروف و أصعبها " و أول ما إهتم به القرآن في هذا المجال هو لفت انتباه المسلمين إلى أن من بين النصارى رجال مؤمنين حقاً و يكون المودة و هذا واضح في قوله تعالى : (ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين و مرهبان و أنهم لا يستكبرون) ووجود هذه الآية في القرآن إنما جاء من باب التحفيز لبناء علاقة تعاون بين المسلمين و هذا الصنف من النصارى ، خدمة لدين الحق و إبقاء عليه.

ولا يتجرىء القرآن على مجرد التنبيه إلى وجود أحيار في النصارى بل يذهب من أجل التمكين للاتصال و التواصل إلى الدعوة إلى التعاون حتى إذا اقتضى هذا التعاون وجود ما يميز بين الديانات فيدعون إلى نبذ الاختلافات والحرص على الاتفاق على الفكرة الجوهرية و عليها نبني علاقاتنا و نؤسس تعاوننا و هذا واضح في قوله تعالى : (قل ياهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) و لو ذهبنا نستقصي آيات القرآن الكريم لوجدنا الكثير منها يؤكد بالحاح على ضرورة التعاون و توظيف الجهد الإنساني لمختلف

أتباع الديانات السماوية حفظا للحياة و تحقيقا لسعادة الإنسان ، و ليس مجرد القرآن وحده حض على تعاون الديانات السماوية بل أن الرسول أيضا دعا إلى ذلك في المعاهدات التي أمضاها الرسول عليه الصلاة و السلام في المجتمع المدني كالمعاهدات التي كانت بينه و بين محيطه ، و استلهم الخلفاء الراشدون من بعده ذلك في التنظيم العلاقات الاجتماعية و السياسية للطوائف والأجناس التي انضمت إلى المجتمع الإسلامي نتيجة الفتح .

إقرار الإسلام بتنوع الديانات :

إن الإسلام أقر بتنوع الديانات و بين اتحادها في الهدف و الغاية والمقصد الأسمى في قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان و داود و آتينا داود نبورا ، و مرسلنا قد قصصناهم عليك من قبل و مرسلنا لم نقصصهم عليك و كلم الله موسى تكليما ، مرسلنا مبشرين و منذرين لتلايكون للناس حجة بعد الرسل و كان اله عزنا حكيما) .

وإن إسلام دين منفتح و منفتح على الديانات ليس له عقدة ضد الآخر و لا يستعلي عليها و يعترف لها بحقها في الوجود و أنه و إياها تصدر من مشكاة واحدة بدليل قوله تعالى : (إن الذين يكفرون بالله و مرسله ويريدون

أن يفرقوا بين الله ومرسله ويقولون يؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ومرسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً).

كما أشاد بالتوراة وما فيها من نور وهدى في قوله تعالى : (واقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).

وقد عبر سيدنا المسيح عيسى عليه السلام عن ذلك كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن الكريم (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد). وأحمد هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد وهو المحمود بينهما .

إن العلاقة بين الرسائل السماوية هي اتصال وتواصل مستمر، والقرآن وإن جاء بالذروة في المعارف الإلهية إلا إنه جاء بالتوحيد ذاته الذي

جاء به نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و بالعقيدة ذاتها و الكلمة ذاتها لا إله إلا الله .

يقول عيسى بن مريم عليه السلام : (ما جئت للأنقض الناموس بل لأكمّله فلا تبدل ولا تطور فيما جاء به أنبياء السماء) .الأصحاح

فكما أن عيسى عليه السلام لم ينقض ما جاء به موسى فإن محمدا صلى الله عليه و سلم ما جاء لينقض ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام بل ليصححه و يكمله بدليل قوله تعالى : (قولوا أمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون) .

لاشك أن للعوامل التاريخية و الجغرافية و الاقتصادية و الاجتماعية تأثيرا في تكوين الحضارات و لكن هذه الأسباب لا تكفي لتفسير ما تميزت به حضارة اليونان من قوة الإبداع و الابتكار .

لقد غرّبل اليونانيون آثار الحضارات القديمة و محصوها أعمق تمحيص فحذفوا منها ما حذفوا و استبقوا منها ما استبقوا و لكن حضارتهم ليست حصيلة الحضارات السابقة فحسب و إنما هي حضارة متميزة أطلقت حرية العقل و جاوزت حدود الزمان و المكان .

و يذكر العلماء : أن الحضارة اليونانية ، عرفت باسم الحضارة الهيلينية إلى "هيلين " الجد الأكبر الخرافي للشعب اليوناني و قد انتشرت هذه الحضارة

الهيلينية مع امتداد نفوذ الإغراق التجاري الاستعماري و لما فتح الإسكندر المقدوني الشرق امتزجت الثقافية اليونانية بروح الشرق ، فنشأت حضارة مزيجية عرفت بالهيلينية و أخصبت عدة مراكز في الشرق و لما جاء الإسلام وجد في هذه المراكز حضارة يونانية في الإسكندرية و في أنطاكية و غيرهما ، و كان لابد لهذه الحضارة الإغريقية أن تظهر على مسرح الوجود عنوانا على حضارة هذه الأمة الآرية ، التي علمت الإنسانية جمعاء الكثير من أنماط الفكر و سياقته .. ولكن النسق الخاص بها و الخاص بها وحدها المتصل ببيئة المجتمع اليوناني و لذلك حين قام الإسلام بوضع فلسفته المعبرة عن حضارته كان لا بد من اختلاف عنيف و من جدل قاس و تعارض في المنهج و في المادة بينه وبين الفلسفة اليونانية.

وتوصلا إلى ذلك لا نرى أمثل و لا أجدى من التمكين للاتصال وتعزيزه و مقاومة الرغبة في الانفرادية و العزلة و التقوقع التي عانت منها الديانات السماوية ، و كانت سببا مباشرا لتغذية سوء الظن فيما بينها فباتصال يمكن أن تتعارف و تكشف أن لديها عوامل التفاهم و الاتفاق و التكامل و الإتحاد أكثر مما يفرق بينها ، و بالاتصال يمكن حدوث عملية التواصل و التفاعل التي تفضي بدورها إلى تبادل المعارف و الخبرات و تنسيق الجهود مما يجعل هذه الديانات تتفق على توحيد مواقفها تجاه القضايا الحساسة في الحياة الإنسانية و تمارس ضغطها على النظم السياسية و تحملها على احترام الوجود الإنساني و ضمان الحقوق الأساسية للإنسان كالحق في الحرية

وسلامته و أمنه، و الحق في الصحة و التعليم و الحماية اجتماعية أي الحفاظ على حقوق الإنسان و كرامته و أمنه و استقراره .

هذه الحقوق التي تكفلت بها منظمات إنسانية عالمية لا علاقة لها بالدين فالأولى أن يبادر أهل الديانات السماوية و ممثلوها بأخذ المبادرة في هذا المجال، فهم أولى و أحق على اعتبار أن أصل في الدين أيا كانوا أن يضمن شروط البقاء للإنسان بالمحافظة على الكليات الخمس : الدين، النفس، العقل، المال، النسل .

و هذا الأمر لا تختلف عليه الديانات السماوية .
و هذا ما يؤكده الإسلام على الخصوص ، فالله سبحانه و تعالى أكد في كتابه الكريم على أن التعارف و احب و مطلوب حيث قال تعالى : (يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى ، وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

إن الإسلام يدعو إلى التعايش السلمي العالمي و الاعتراف بحق الآخر ما اعترف به الآخر ، و احترام حقه في الوجود — بل يذهب إلى أبعد من ذلك و يقترح التعاون و التكامل على الانتفاع بخيرات الأرض و كنوزها ، بدليل قوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

فمن أحب ان يدخل في الإسلام فله ذلك، و من أراد البقاء على معتقده فله ذلك على أن لا يكيد للمسلمين و يتعاون معهم باعتباره مواطنا

له، كامل المواطنة، و إذا قبل ذلك و تم الإقرار به يصبح التعاون واجبا ومفيدا
للطرفين بدليل قوله تعالى : (و لكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما
تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير).

وكلما ذهبنا نبحث في الحضارات الأمم ، وجدنا أن اللقاء و التفاعل
الحضاري الذي عرفه التاريخ بين الحضارات العريقة المالكة لما هو "مشترك "
ولما هو "خاص " قد تم وفق أن هناك " ماهو مشترك إنساني عام " و هناك
ماهو خاص .

فالتقاء الحضارات - و هو معلم من المعالم التاريخ الحضاري للإنسانية
و تفاعل هذه الحضارات عندما تلتقي - هو قدر لا سبيل إلى مغالته أو تحجبه،
لكنه تم دائما و أبدا، وفق هذا القانون الحاكم التمييز بين ما هو مشترك
إنساني عام تفتح له الأبواب و النوافذ بل يطلبه العقلاء و يجدون السعي في
تحصيله و بين ماهو خصوصية حضارية يدققون - في جذر- قبل استلهامه
وتمثله و يعرضونه على معايير حضارتهم لفرز ما يقبل منه و يتمثل من ذلك
الذي يرفضونه لما فيه من تناقض مع هويتهم الحضارية و قيمهم الاعتقادية .
ويستطيع الباحث في الحضارات، أن يضرب مثالين على حوار
الحضارات و التقائها في أخذ و عطاء.

المثال الأول : لقاء الحضارة الإسلامية بالحضارة الفارسية و الهندية و اليونانية.
المثال الثاني : لقاء الحضارة الغربية إبان هضتها بالحضارة الإسلامية .

أما المثال الأول الذي يقوم على الحضارة الإسلامية و تفاعلها مع الحضارة الفارسية و اليونانية و الهندية، فإن المدرك لأبعاد هذا اللقاء والتفاعل يلحظ بوضوح أن المسلمين لم يكونوا أحرار من أي تفتح عقلي، إذ كانت نواة التفكير فيهم قد تكونت كما كانت بين أيديهم نظرية كونية شاملة أمدتهم القرآن، فكانت بمثابة العمود الفقري لكل تفكير عقلي، وتحرك عملي و علمي .

ولهذا أقبل المسلمون على حضارات الأمم يمتصون بسرعة فائقة ما خلفه الفرس من حكم و آداب و خبرات سياسية ، و ما خلفه اليونان الإغريق من علوم فلسفية و عقلية، و ما كان لدى مختلف الأمم التي التقت مع المسلمين، لقاء مودة، و لقاء خصام.

لقد قام المسلمون بتحرير هذه العلوم ، و تنقيتها من الشوائب وتطويرها و تنميتها و صقلها و إصلاح فسادها مسترشدين بالمنهج العلمي العام الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي العظيمان : القرآن و السنة، كل ذلك فيما لم يكن من خصائص الشريعة الإسلامية بيانه و تحديد أصوله وفروعه كأصول اعتقاد و أحكام العبادات و المعاملات و نظم الحياة الفردية والاجتماعية التي رسم الإسلام للناس طريقها و أوضح لهم صراطها المستقيم.

إن الدولة الإسلامية الجديدة التي عملت على نشر الإسلام في الممالك المختلفة و التقت بحضارات الأمم لوم تأخذ من الحضارات إلا لكي تعطي، إنها لم تقبل التراث الفكري اليوناني و غير اليوناني ، إلا لكي تضمه بعقليتها

الجديدة ، وتمثله بمنطق تفكير ما روح عقيدتها، و بكل أصالة تاريخها وخصبه،
و ترده بعد ذلك أضعافا مضاعفة .

فقد أقبل المسلمون على علوم اليونان و الهنود و أصحاب الحضارات
القديمة ، يغترفون منها ما كان في و سعيهم أن يغترفوا ، لكن تلك العناصر التي
التهموها قد تحولت على أيديهم لتكون غذاء جديدا .

إن العلماء المسلمين و هم يستوعبون نتاج الحضارات القديمة و المذاهب
و الأفكار و يستعينون بها في عملية البناء كان رائدهم في ذلك البحث عن
الحقيقة لذاتها و " الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها " .

لقد أخذ المسلمون ما اخذوا لأنهم طلاب حقيقة و هذا بحسبهم إنهم لم
يقدموا على النقل و الاقتباس للتجمل و الزينة و لياهو الناس بكثرة الأحجار
الكريمة و الأساور و العقود و الخلاخيل بل بناء الذات و استدراك ما فات
واستكمال أسباب الحياة .

لقد كان المسلمون ينظرون في كل شيء و يبحثون في كل فج ويستفيدون
بكل حديث و قديم ينقبون عن كل علم و يسيرون وراء كل حكمة
ويأخذون العبرة من الماضي و ينطلقون للمستقبل يستفيدون من القديم و يبنون
الجديد و كانت لهم جولات و جولات في كل ناحية من نواحي الحياة، في
العلم و في الحكمة و في الأخلاق و في الفلسفة و في الطب و في الهندسة و في
الجغرافيا و في الفلك و في الصناعة و في الكيمياء و في الصيدلة و الزراعة
والتاريخ و في القصص و في اللغة و في الحيوان و الفيزياء و البحار و المعادن.
و لم يدخر المسلمون جهدا في البحث عن ثراث الأمم السابقة و اضطلع

المسلمون رغم ما عانوه من جهد بالتعرف على الثقافة اليونانية القديمة
والفارسية و الهندية و غيرها من الثقافات التي نما إلى علمهم أنها موجودة في
أي صقع أو قطر.

لقد امتصت العقلية الإسلامية الغذاء الذي تقدمه ميراث العالم القديم
الضخم بعد أن أصبح متوفرا باللغة العربية ، فأدى ذلك إلى القيام مدارس
الفلسفة و العلوم و الفنون المختلفة التي تسيطر على أفق الحضارة الإسلامية
نتيجة لتطبيق مبادئ الإسلام على أشكال المعرفة المختلفة التي ورثها المسلمون
عن الشعوب ، ذات الحضارات العريقة.